تعزيز الهوية الوطنية "التأسيس للتربية على المواطنة"

Building the feeling of citizenship "Among primary school learners"

الباحث.قاسي سليمة_جامعة العربي بن مهيدي_أم البواقي-الجزائر

ملخص:

تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول مدى استجابة مضامين مناهج التاريخ للمرحلة الابتدائية لمتطلبات تعزيز الهوية الوطنية لدى التلاميذ تأسيسا للتربية على المواطنة ، من خلال بحث البعد الوطني باعتباره من غايات المنظومة التربوية الجزائرية عبر المحتوى الذي تتضمنه هذه المناهج، ومدى احتضان البيئة المدرسية لذلك، ويتبلور ذلك في الإجابة على التساؤلات التالية:

-هل تستجيب مضامين مناهج التاريخ للمرحلة الابتدائية لمتطلبات تعزيز الهوية الوطنية كسبيل للتربية على المواطنة ؟

-وهل تتضمن دروسا عملية غير تقليدية تعزز السلوك الإيجابي لديهم، وتجعلهم منتمين إلى وطنهم الجزائر قولاً وفعلاً ؟

-وهل البيئة المدرسية حاضنة لهذه القيمة ؟

Abstract:

This study tries to show to what extend the primary school curriculum of history reinforce the concept of citizenship among primary school.

This educational concept of citizenship should be incluted within the content of the school books,

In this research work we will try to answer the following questions:

-Wether the curriculum of the books of history in the primary school serves of building the feeling of citizenship among primary school learners?

-Either the history programme include modern lessons to show ?

-How much learners practice and implement this citizenship actions to be put in to practice or not ?

مقدمة:

تنطلق التربية على المواطنة من تعزيز الهوية الوطنية لدى الأفراد وان الحديث عن هذه الأخيرة أضحى أكثر من ضرورة في ظل التغيرات التي يشهدها العالم اليوم، إذ باتت محور السياسات والأنظمة التربوية وهدفها تعزيز الهوية الوطنية بكل أبعادها، بما في ذلك المنظومة التربوية الجزائرية التي طالما عملت على ترسيخ جملة من المبادئ الأساسية تمثلت في تعريب المناهج والمقررات، جزأرة ومجانية وديمقراطية التعليم والزاميته، وحملتها مختلف التشريعات التربوية، من خلال الأمريات والقوانين الصادرة منذ الاستقلال ،وهو ما يعكس التوجهات الأساسية للمنظومة التربوية الجزائرية الرامية إلى تعليم تطبعه معالم الشعور بالهوية الوطنية، كقيمة عظيمة تلعب دورا كبيرا في حياة الفرد كما تسهم في الحفاظ على كينونته، بل تعد بمثابة الحبل السري الذي يربطه بدينه ووطنه ولغته وعاداته وتقاليده ،لكن هذه القيمة باتت في غير مأمن ، في ظل التعدد الثقافي ،الذي تشهده الأمم وكذا في عصر العولمة الذي يعصف بها من كل جانب، فيصبح موضوع الهوية عند البعض موسميا ، في مناسبات وطنية على غرار اليوم الوطني أو تشجيع منتحب رياضي أو الاستماع إلى النشيد الوطني...الخ.، "مما يجعلنا أمام مسؤولية كبيرة، لإعداد جيل متمسك بالقيم والأخلاق التي تحافظ على تماسك المجتمع وقوته" (غانم وحنا 1983،ص36).

إن تأكيد الهوية الوطنية من غايات وأهداف المنظومة التربوية الجزائرية وهنا يأتي دور المدرسة من خلال المنهاج الدراسي كأحد أهم أدوات التربية في تحقيق أهدافها،وحجر الزاوية الذي تلتقي عنده مكونات العملية التعليمية فيقوم بالحفاظ على التراث الثقافي للمجتمع وبث هويته وتحقيق الانتماء والولاء له وغرس ذلك كله في نفوس الناشئة حتى يكونوا أقدر على مواجهة تحديات المستقبل، سيما "وأن قطاع التربية بوصفه نظاماً فرعياً تابعاً للنظام الكلي للمجتمع، أهم قطاع تنعكس عليه وبصورة مباشرة ما يصيب النظام العام للمجتمع من آثار الانفتاح على الاخر وتداعياته، والمناهج المدرسية بدورها تمثل نظاماً فرعياً من أنظمة التربية تنعكس عليها بالتالي ما يصيب التربية (كنظام شامل) من تغيرات (طعيمة،1999،ص61).

وانطلاقاً من أن النظام التربوي والتعليمي لأي دولةٍ يُعد الركيزة الأساسية في سباق التقدم بين الأُمم ، وسلاحٌ فاعلٌ في مواجهة تحديات المستقبل ؛ فإن استقلال ذلك النظام عن المؤثرات الفكرية السالبة التي تتعارض معه ضرورةٌ يفرضها ما يعيشه العالم اليوم من تغيراتٍ وتطوراتٍ في المجال التربوي والتعليمي على وجه الخصوص ، وحيث أن من أبرز هذه التحديات ما يُسمى بالعولمة التي - تسعى ضمن ما تسعى إليه - إلى محاولة إلغاء هوية الإنسان المسلم الثقافية ، وطمس معالم تربيته العربية الإسلامية وفصلها عن أصولها الثابتة ومصادرها الخالدة ، من هنا فإن الحاجة تدعوا إلى التفاعل الإيجابي معها طمعاً في تحقيق الفوائد المرجوة من معطياتها الحضارية التي لا غنى عنها لتطوير النظام التربوي والتعليمي ، مع الأخذ في الاعتبار أن يتم ذلك التفاعل مع العولمة بصورةٍ وكيفيةٍ تُحافظ على معالم أصولنا الثقافية ، وتؤكد ملامح هويتنا الوطنية الإسلامية المتميزة في مختلف المجالات الحياتية .

والمدرسة الجزائرية لا تشد على هذه القاعدة فهي مطالبة بتجديد مناهجها وتغيير طرق عملها خاصة وان البرامج المطبقة في مؤسساتنا (قبل الإصلاح) يعود تصميم أهدافها وتحديد مضامينها إلى عقود خلت وهي بذلك لا تواكب التقدم العلمي والمعرفي الذي أحدثته التقنيات الحديثة في الإعلام والاتصال، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن المجتمع الجزائري عرف تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية عميقة غيرت

فلسفته الاجتماعية وفتحت أمامه طموحات مشروعة للتقدم والرقي في ظل العدالة الاجتماعية والمواطنة المسؤولة تكون فيها روح المبادرة والبحث الدائم والنجاعة المحرك الأساسي للتغير الاجتماعي،فبات تغيير البرامج والمناهج التعليمية وتحديث محتوياتها ضرورة تفرض نفسها خاصة وأنّ عولمة المبادلات تملي على المجتمعات تحديات جديدة لن ترفع إلاّ بالإعداد الجيّد والتربية الناجعة للأجيال (وزارة التربية الوطنية،2003،ص5).

وباعتبار المنهاج الدراسي أحد أهم العناصر التربوية المكونة للنظام التربوي في البلاد ، ومن ثم فهو مدخل أساسي لأي دراسة علمية لهذا النظام ،ومن جهة أخرى أنه لا يمكن لأي أمة أن تشعر بوجودها بين الأمم إلا عن طريق تاريخها ؛ الذي يمثل أحد قسمات هويتها ، للارتباط الوثيق بين التاريخ والهوية، فالهوية لأي شعب تتمثل في تاريخه فضلاً على أن التاريخ هو السجل الثابت لماضي الأمة وديوان مفاخرها وذكرياتها ، وهو آمالها وأمانيها ، بل هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض ، فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون ويفخرون بمآثره يكونون أبناء أمة واحدة ، فالتاريخ المشترك عنصر مهم من عناصر المحافظة علي الهوية الوطنية،هذه الأخيرة التي تدرك عند الفرد في سن مبكرة ، حسب نتائج بعض الدراسات التي أثبتت أن الفرد يبدأ في إدراك هويته الوطنية في سن ستة إلى سبع سنوات[1] ، أي وهو في الطور الابتدائي من مساره الدراسي، بناء على هذه الأهمية أردنا أن يكون كتاب التاريخ المدرسي للمرحلة الابتدائية موضوعا لمحاولة دراسة العلاقة بين مناهج التاريخ للمرحلة الابتدائية وتنمية الهوية الوطنية بمعنى مدى توافر مقومات الهوية الوطنية في هذه المناهج التي تستهدف التربية على المواطنة من خلال إرساء وتكريس قيمها لدى التلاميذ في إحدى أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية المدرسة .

مشكلة الدراسة:

تمحورت مشكلة هذه الدراسة حول مدى استجابة مضامين مناهج التاريخ للمرحلة الابتدائية لمتطلبات تعزيز الهوية الوطنية لدى التلاميذ تأسيسا للتربية على المواطنة ، من خلال بحث البعد الوطني باعتباره

من غايات المنظومة التربوية الجزائرية عبر المحتوى الذي تتضمنه هذه المناهج ، ومدى احتضان البيئة المدرسية لذلك، ويتبلور ذلك في الإجابة على التساؤلات التالية:

- هل تستجيب مضامين مناهج التاريخ للمرحلة الابتدائية لمتطلبات تعزيز الهوية الوطنية كسبيل للتربية على المواطنة
- وهل تتضمن دروسا عملية غير تقليدية تعزز السلوك الإيجابي لديهم، وتجعلهم منتمين إلى وطنهم الجزائر قولاً وفعلاً؟
- وهل البيئة المدرسية حاضنة لهذه القيمة؟

منهاج مادة التاريخ في ظل الإصلاح:

المنهاج الدراسي في أي بلد يقوم على أسس ومنطلقات فكرية واجتماعية يؤمن بها ذلك البلد وتلك الأسس والمنطلقات هي ما يؤمن به المجتمع ويعتقده لذا فلا بد أن يكون المنهاج صادقا في تمثلها وتحقيقها لأنه من أهم الوسائل في تحديد شخصية المجتمع وكل فرد ينتمي إليه .

وتخطيط المناهج التعليمية يعنى بتحقيق الأهداف التربوية التي تنطلق من عقيدة الأمة ويتطلع المجتمع إلى تحقيقها وهذا يعني تحديد التربية التي يريدها، لذا فلا غرابة أن يقول أحد التربويون أن التدخل في مناهج أي دولة يعادل التعدي على حدودها وسيادتها

لأن ذلك يعني التدخل في تغيير الهوية والخصوصية.

وهو صادق في ذلك، فالقبول بتغيير تحت مسمى التطوير بمواصفات غربية يعني القبول بطمس هوية الأمة وانتهاك عقيدتها وتغريب أجيالها.

ولقد عرفت مناهج التاريخ في المدرسة الجزائرية على غرار مناهج المواد الأخرى عملية الإصلاح وإعادة النظر في محتوياتها منذ سنة 2003 ، وعملية الإصلاح هذه كانت جد مؤطرة فالدولة هي التي تحدد التوجهات العامة للمناهج من خلال البنود الدستورية والقانون التوجيهي الخاص بالتربية الوطنية ، لتأتي اللجنة الوطنية للمناهج CNP والمكونة من جامعيين ومفتشين وأساتذة لتضع المحاور الكبرى أي

المنطلقات المنهجية والمعرفية وملامح التخرج للمواد حسب مستويات التعليم ، ثم تأتي اللجان المتخصصة لكل مادة GSD لتضع دليل برنامج كل مادة والذي توضع الكتب المدرسية على أساسه.

ولقد قررت وزارة التربية أن تكون الكتب المدرسية الجديدة موحدة عبر كامل التراب الوطني، تسهر على طبعها مؤسسة واحدة هي الديوان الوطني للكتب المدرسية وتقيم من طرف خبراء المعهد الوطني للبحث في التربية INRE (المستاري،2010).

الإطار المرجعي لمناهج التاريخ في المرحلة الابتدائية ومسألة الهوية الوطنية :

يستدعي فهم المحتوى السائد حول الهوية الوطنية الذي تتضمنه مناهج التاريخ في مستوى التعليم الابتدائي الانطلاق من الإطار المرجعي الذي يؤطر هذا المحتوى في الفترة الحالية .

إن الإصلاحات الجديدة في مناهج التاريخ مؤطرة بعدد من المبادئ الدستورية ومدعوة للاستجابة إلى عدد من التحديات والتجاوب مع عدد من الأحداث أشارت إليها بنود القانون التوجيهي الخاص بالتربية الوطنية رقم 08 – 04 المؤرّخ في 23 يناير 2008 تشكل هذه العناصر كلها الإطار المرجعي الذي يحدد معالم المحتوى التربوي الذي ينبغي على المدرسة الجزائرية أن تنشره في مستويات التعليم وفق أجرأة تحددها اللجان المتخصصة في هذا المجال.

فلقد حدّد القانون التوجيهي للتربية الوطنية ، للمدرسة غايات التربية والتي تعكس ثلاثة مبادئ دستورية أساسية ،أولها أهمية احترام البعد الوطني والمتمثل في ترسيخ الشخصية الجزائرية من خلال ترسيخ وحدة الأمّة بترقية وحفظ القيم المتصلة بالإسلام، والعروبة والأمازيغية. وبذلك، فإنّه ينبغي توعية التلميذ « بانتمائه إلى هوية تاريخية جماعية، مشتركة ووحيدة والتي تكرّسها رسميا الجنسية الجزائرية»، وتجذير«الشعور الوطني» لديه؛ وتنمية لديه« التعلّق بالجزائر والوفاء لها، وبالوحدة الوطنية وسلامة أراضيها»، وثانيها البعد الديمقراطي وما يتعلق فيه بضمان تكافؤ الفرص لكل تلميذ في التأطير البيداغوجي والتكويني والتطبيقي بغض النظر عن المنطقة الجغرافية أو المكانة الاجتماعية أو المستوى المادي اضافة

الى ضرورة ادماج الممارسة الديمقراطية وتطبيقاتها العملية داخل القسم واشراك التلاميذ في حياة المدرسة.

أما البعد الثالث فهو العلمي وما يتعلق فيه بضمان ثقافة علمية تكنولوجية فنية وأدبية مع التركيز على مبدأ الانفتاح على العالم والاندماج في الحركة التطورية العالمية ،وتكوين تلميذ ذي حس نقدي يمكنه من الاستعمال الإيجابي للمعارف المختلفة (وزارة التربية الوطنية،2009،ص2).

بناء على هذه المبادئ فان المنظومة التربوية مطالبة بأن تتكيف مع الواقع السياسي والاقتصادي للجزائر أي النظام التعددي واقتصاد السوق، أي تكوين المتعلم على قيم جديدة مختلفة عما كانت عليه المنظومة التربوية في سياق أمرية أفريل 1976ونعني بهذه القيم الديمقراطية ومعاني الحرية الفردية والتضامن الاجتماعي، كما أن المنظومة التربوية وتحديدا منهاج التاريخ مدعوة أيضا الى الاخذ بعين الاعتبار التحديات الخارجية التي حددها القانون التوجيهي في ثلاثة وهي تحدي العولمة ،تحدي وسائل العلام والاتصال وتحدي الثورة العلمية والتكنولوجية.

مايلاحظ على مضمون المرجعية المؤطرة للمنظومة التربوية الجزائرية هو تلك الازدواجية والغموض في تحديد مهمة المدرسة في تمثل مناهجها للدلالة على الهوية الوطنية حيث يشير الى ثنائية غير محددة بشكل جلي أهمية العولمة من جهة وتعميق الهوية الوطنية من جهة أخرى، حيث نلمس تلك الثنائية في أهداف المدرسة التي تسعى الى التوفيق بين الحفاظ على التراث الثقافي الوطني والقيم الدينية والوطنية والاجتماعية التي تميز المجتمع الجزائري عبر مسيرته التاريخية من جهة، واستشراف المستقبل بمستلزماته العلمية والتكنولوجية من جهة أخرى، لإعداد الأجيال إعدادا يجعل منهم مواطنين مسؤولين لمجتمع ديمقراطي غيورين على هويتهم وقادرين على رفع التحديات المختلفة التي تفرضها العولمة.

المواضيع المكونة لكتب التاريخ في المرحلة الابتدائية:

في البداية يجدر بنا الإشارة والتذكير بأن مادة التاريخ تلازم التلميذ الجزائري في مساره الدراسي القاعدي منذ السنة الثالثة ابتدئي بمعدل حصة واحدة أسبوعيا مدتها 45د إلى غاية السنة الخامسة نهاية المرحلة الابتدائية.

ودراسة المادة التاريخية التي يتلقاها التلميذ خلال كل سنة من السنوات الثلاث للمرحلة الابتدائية أي بداية من الثالثة الى غاية الخامسة لا تزيد على أربع وحدات دراسية يمكن أن تنمي معارفه ومفاهيم وطنيته التي وضعها مخططو المناهج التي يرتجى منها حماية الهوية الوطنية ومواجهة تحديات العولمة،

وعليه فمادة التاريخ في التعليم الابتدائي، لا ترمي إلى إكساب المتعلم معارف موسوعية أو مفاهيم وأفكار تتطلب تحليل ودراسة معقدة بقدر ما هي نشاط تربوي إيقاضي تحسيسي عملي أكثر مما هو نظري وتلقيني، يرمي بالدرجة الأولى إلى إثارة وتنمية روح الملاحظة وتنظيمها وتدقيقها، وتدريبه على التعلم بالممارسة وبذل الجهد ليتفتح مجال الاستكشاف لديه والتساؤل باهتمام عما يحيط به من الظواهر والأحداث، رغبة في إيجاد تفسيرات لها ومعرفة العناصر الفاعلة والمتحكمة في وجودها وتطويرها.(اللجنة الوطنية للمناهج، 2011،ص53)

فبناء على الإطار المرجعي السالف الذكر ، عمد بعض مفتشي التربية والتعليم لأساتذة الطور الثالث وتحت إشراف مفتش التربية والتكوين إلى تأليف ثلاثة كتب مدرسية وكتاب ثان للسنة الرابعة وآخر للسنة الخامسة، واستنادا إلى ما جاء في مقدمات هذه الكتب الثلاثة تتمثل مضامين كل واحد منها في صيغة وحدات تعلمية وينبثق عن كل وحدة جملة من المواضيع ، كما يتضمن كل كتاب مجموعة من النشاطات التقويمية في نهاية كل من الوضعيات والوحدات التعلمية الهادفة إلى إدماج ما ورد من مفاهيم، وفيما يلي سنحاول إلقاء الضوء على كل واد من هذه الكتب بشيء من التفصيل.

- **كتاب التاريخ للسنة الثالثة ابتدائي:**

في هذه السنة يتم أول احتكاك بين التلميذ ومادة التاريخ، لأنها المرة الأولى في هذه المرحلة وفي هذا المستوى بالذات تدرج مع باقي المواد ،و كتابها من الحجم الصغير يصل عدد صفحاته إلى 93 صفحة يحتوي على أربع وحدات تعلميه:

1. الحدث والزمن والمكان ويتضمن أربع مواضيع(الشخصي،الاجتماعي، المعنوي،وحدات الزمن)
2. التقويم التاريخي ويتضمن (التأريخ، التاريخ، التقويم الميلادي، التقويم الهجري، العصور التاريخية)
3. وسائل تمثيل التسلسل الزمني (السلم الزمني، شجرة العائلة، الخريطة التاريخية)
4. من تاريخ وطني(تاريخ تفجير الثورة التحريرية الكبرى،مسار الثورة التحريرية الكبرى،نتائج الثورة التحريرية)

- **كتاب التاريخ للسنة الرابعة ابتدائي:**

كتاب من الحجم الصغير أيضا يصل تعداد صفحاته إلى 73 صفحة يحتوي على ثلاث وحدات تعلميه بمثابة محطات كبرى يقف عندها التلميذ للتعرف على معالم بارزة في تاريخ بلاده الجزائر.وهي على التوالي:

1. الجزائر في ما قبل التاريخ العصر القديم
2. الجزائر في العصر الوسيط(الفتوحات الإسلامية في المغرب الأوسط، دول المغرب الأوسط)
3. الجزائر في العصر الحديث(من المغرب الأوسط إلى الجزائر)

- **كتاب التاريخ للسنة الخامسة ابتدائي:**

يعد الثاني خلال مرحلة الإصلاح هذه حيث تم سحب الأول بسب الخطأ الذي ورد في الصفحة 17 منه سنة 2007 والذي مس التاريخ الوطني فيما يخص طبيعة التواجد الفرنسي بالجزائر وعلى اثر ذلك تم التصحيح وطبع الكتاب الثاني للسنة ذاتها وهو المستعمل حاليا ، كتاب من الحجم الصغير يصل عدد صفحاته إلى 95 صفحة يحتوي على ثلاث مجالات ينطوي تحت كل مجال مجموعة من المواضيع

1. الاستعمار الفرنسي وسياسته في الجزائر(طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل الاحتلال، مرامي فرنسا من احتلال الجزائر، السياسة الفرنسية بالجزائر ومظاهرها)

2. المقاومة الوطنية من أجل تحرير الجزائر(المقاومة الشعبية، النضال السياسي، الحركة الإصلاحية، الثورة التحريرية المسلحة)
3. استرجاع السيادة الوطنية وإعادة بناء الدولة الجزائرية(ظروف الجزائر غداة الاستقلال، أسس ومبادئ السياسة الداخلية ومظاهرها، المشاريع الإنمائية، أسس ومبادئ السياسة الخارجية ومظاهرها).

وينتهي الكتاب بعرض والتعريف بمجموعة من الشخصيات التاريخية فرنسية وجزائرية بالإضافة إلى عرض بيان أول نوفمبر 1954

تركز مواضيع الكتاب على تاريخ الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي 1830الى غاية غداة الاستقلال وقد سهر على تأليف الكتاب أستاذين بالتعليم الثانوي تحت إشراف أستاذ جامعي مكلف بالدروس.

مناهج التاريخ والمادة التاريخية التي تتضمنها والبيئة المدرسية وتنمية الهوية الوطنية عناصر للنقاش:

حديثنا سينطلق من المفهوم البسيط للهوية الوطنية والذي يصب في كونها بطاقة تعريف للدول تبرز شخصية المجتمع ،وانتماءه الجغرافي والحضاري، ومنها يستمد قوته لمواجهة تحديات الحاضر لبناء المستقبل ، وقد عرفها البعض بأنها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة ، والتي تولد الإحساس لدي الأفراد بالانتماء لشعب معين ، والارتباط بوطن معين ، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد"(الفقي،1999،ص205)

والهوية الوطنية للشعب الجزائري تقوم على ثلاثة أركان رئيسية يكمل ويقوي بعضها البعض، الدين الإسلامي ،اللغة الرسمية العربية و الامازيغية أصل المجتمع الجزائري ،وبالنسبة لانتماء المجتمع الجزائري الجغرافي والحضاري فيرجع إلى المجتمع العربي الإسلامي والمتوسطي والإفريقي.

هذا ومن بين ما يؤكد عليه الإصلاح في المدرسة الجزائرية التكفل الأمثل ببعد التاريخ وخاصة التاريخ الوطني من جميع جوانبه ومراحله، ومعالجته على أساس دعم الوحدة والهوية والثقافة الوطنية بإبراز كل جوانب الهوية الوطنية والتفاعل مع مركباتها.

وعليه، فتدريس التاريخ بالرؤية الجديدة غايته اكتساب كفاءات بنائية ومنهجية وسلوكية تمكن المتعلم من تكوين صورة واضحة وايجابية حول التراث الحضاري والثقافي لمجتمعه، هذا التراث الذي يحمل جزءا منه في سلوكه وله تأثير مباشر أو غير مباشر في تكوين عناصر تفكيره، بالقيم والمقومات المشتركة والبيئة الجغرافية، تكون لديه مجتمعة الإحساس بالانتماء إلى مجتمع له مميزاته الخاصة ما يشكل هويته الوطنية.

والملاحظ أن مناهج التاريخ في مرحلة التعليم القاعدي والمجسدة في دروس ومواضيع الكتب المدرسية قد خصصت جانبا هاما حتى وان كان بمساحات متفاوتة في كتبها لدراسة التاريخ الوطني ويبرز بشكل خاص في السنة الخامسة،والسنة الثالثة نوعا ما ، من حيث أنه يمثل البوتقة التي تشكلت فيها الهوية الجزائرية والإطار الذي ما انفكت تنمو فيه الأمة الجزائرية. بغية تشبع المتعلم من ماضيه الوطني بكل مظاهره، دون تمييز حقبة تاريخية معينة ،ويبدو ذلك جليا من خلال كتاب التاريخ للسنة الرابعة ابتدائي الذي يقود التلميذ من خلال ما سطر له من مواضيع إلى الزمن البعيد الذي عايشه أجداده والنشاط الذي مارسوه في الجزائر.

فالمتتبع أيضا لعرض مضامين هذه المناهج يلمس أن الجانب الوطني في بعد التاريخ يظهر في شكل مفاهيم أولية مبسطة، وأفكار ومواضيع من خلال (أناشيد، رموز تاريخية وطنية، آثار تاريخية، قصص وروايات، نصوص، لوحات فنية، إنتاج حضاري متميز...) ابتداء من السنة الثالثة ابتدائي، حيث يصبح التاريخ نشاطا تربويا متميزا قائما بذاته.

وتتجسد مقومات الهوية الوطنية من دين ولغة وأصل المجتمع الجزائري وانتمائه في كتاب السنة الرابعة ابتدائي عند التعرف على الفتوحات الإسلامية واعتناق الأجداد للدين الإسلامي وتبنيهم اللغة العربية.

وإذا كان تمجيد والتعريف بالعظماء والشهداء ومن قادة ومؤسسي الدولة الجزائرية الذين كان لهم الفضل في صنع تاريخ الجزائر يساهم في تعزيز الهوية الوطنية فهو لم يهمل، فان مناهج التاريخ لم تفوت

ذلك فقد وردت أسماء عديدة منذ عصور خلت على غرار ماسينيسا ويوغرطة ،الأمير عبد القادر إلى غاية شهداء ثورة نوفمبر ، من العربي بن مهيدي ، و زيغود يوسف ..الخ

فمن خلال هذه القراءة التحليلية المبسطة لمضامين هذه المناهج يمكننا أن نقر إلى حد ما أن مناهج التاريخ التي يدرسها التلاميذ خلال المرحلة الابتدائية تنمي مقومات الهوية الوطنية، ويأتي ذلك تداركا للارتباك الذي وقع بين مخططي المناهج ومؤلفي الكتب في بداية الإصلاح والذي تجلى في جملة الأخطاء الذي شهدتها بعض الكتب المدرسية ونخص ذكرا كتاب التاريخ للسنة الخامسة ابتدائي سنة 2007 ، فرغم ما ماجاء من تأكيد على ضرورة التكفل الأمثل ببعد التاريخ وخاصة التاريخ الوطني من ضمن أهداف المنظومة التربوية الجزائرية والتي وردت في المناهج التعليمية إلا أن كتاب السنة الخامسة، مجد الاحتلال والتواجد الفرنسي بالجزائر، وبالتحديد في الصفحة17 ، حيث ورد في فقرة الاستنتاج العبارة التالية: "استفادت فرنسا في بداية القرن التاسع عشر من الثورة الصناعية في تطوير أسلحتها، وشكلت بذلك قوة عسكرية مكّنتها من تحرير الجزائر."(وزارة التربية الوطنية،2007،ص17).

وقد خلف اكتشاف الأمر حيرة وسخطا كبيرين لدى أفراد الأسرة التربوية من أولياء ومعلمين،فعبارة "تحرير الجزائر" لا تفسير لها حسبهم سوى تزييف للتاريخ، ومحاولة ترسيخ فكرة في أذهان التلاميذ بأن مجيء فرنسا إلى الجزائر في القرن 19 كان الهدف منه تحرير الجزائر من قيود التواجد التركي، وليس الاحتلال . وكأن فرنسا دخلت الجزائر سنة 1830 بغرض إنقاذها من الأتراك أي أن تفسير التواجد الفرنسي في الجزائر تحرري وليس استعماري، فمهما كان السبب في الخطأ فلا يختلف اثنان على أن ذلك يحدث في غياب لجنة قراءة تسهر على مراقبة الكتب المدرسية،وعدم وجود تنسيق بين مخططي المناهج ومؤلفي الكتب.بهدف حماية هوية وتاريخ الجزائر.

لكن المادة التاريخية لوحدها لا تفي بالغرض في حال لم تتضمن دروسا عملية غير تقليدية تعزز السلوك الإيجابي لدى التلاميذ، وتجعلهم منتمين إلى وطنهم الجزائر قولاً وفعلاً، فالملاحظ ميدانيا هذه الكتب يغلب عليها الأنشطة الذهنية المتوقع من الطالب أن يصل إليها بتفكيره ونشاطه الصفي أو

اللاصفي. على الرغم من أن الوحدات الدراسية سبقت بأهداف عامة، ومفاهيم متعددة، وصور ملونة لها دلالاتها، وخرائط وجداول ووثائق متنوعة فإن المادة التاريخية تقتصر على المفاهيم والشروح البسيطة، مكتفية بما يستخلصه التلميذ من الأنشطة المتعددة.ما قد يجعله يقع في الخطأ دون إدراكه وذلك تماشيا مع المقاربة الجديدة والوضعية البيداغوجية الحديثة المعمول بها في مدارسنا والتي تعتمد على طرح إشكالية وترك التلميذ يقوم باستنتاجات، في ما يسمى بالمقاربة بالكفاءات.

فضلا عن أن مسألة الرحلات العلمية الميدانية إلى الأماكن الأثرية والتراثية وإلى المتاحف غائبة عن حسابات المدرسة،والتي من شأنها أن تجعل هذه الأخيرة بيئة حاضنة لتنامي وتعزيز قيم الهوية الوطنية لدى المتعلم ، حتى وان حضرت فهي من دون شك لن تمس كل المدارس وإنما تقتصر على القلة منها والمتواجدة بمناطق معينة .

خاتمة:

في الأخير يمكننا القول إن التأسيس للتربية على المواطنة من خلال تعزيز الهوية الوطنية لدى الناشئة عبر مناهج التاريخ للمرحلة الابتدائية يبدو واضحا من خلال من خلال تخصيص له مساحة معتبرة في المحتوى الدراسي ، وان كانت متفاوتة بين السنوات الثلاث في غياب بيئة مدعمة لذلك ،فان دل ذلك على شيء إنما يدل على ضرورة الحفاظ على هوية الأفراد بترسيخ قيمة الانتماء والولاء للوطن وللهوية العربية والإسلامية، من خلال هذه المناهج، المجسدة في محتويات ودروس الكتب الدراسية والنشاط الصفي واللاصفي ، لأن الانتماء سوف يجعل التلميذ يسعى بكل قوته للحفاظ على الوطن في أوقات الرخاء والأزمات، وهذا ما يجب أن تسعى إليه المدارس عبر تطوير الأنشطة ليس فقط في وقت الاحتفالات فحسب، وإنما على المدى البعيد، ثم يستدعي أن يكون هذا هدفاً أساسياً لوزارة التربية والتعليم حتى يكون الانتماء سلوكاً مجسداً في المدرسة والشارع وكل المؤسسات.

قائمة المراجع

1. إسماعيل الفقي، (1999)،إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء (دراسة امبريقية) ، المؤتمر القومي السنوي الحادي والعشرون للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس بعنوان " العولمة ومناهج التعليم " .

2. المستاري الجيلالي، (2010)، الخطاب الديني في المدرسة الجزائرية : بعض الملاحظات النقدية على كتب مادة التربية الإسلامية في الثانوي/إنسانيات المجلة الجزائرية في الانتربولوجية والعلوم الاجتماعية العدد47-48، تم استرجاعها بتاريخ 2013/5/10،الموقع:

https://insaniyat.revues.org/4786#tocto1n2.

3. عصام أحمد حسين (دت)، إدراك الهوية القومية لدي الطفل المصري ، رسالة ماجستير ،معهد الدراسات العليا للطفولة، ، جامعة عين شمس.

4. غانم سعيد شريف و حنا عيسى سلطان، 1983، الاتجاهات المعاصرة في التدريب أثناء الخدمة التعليمية، الرياض، دار العلوم.

5. طعيمة، رشدي أحمد (1999): العولمة ومناهج التعليم العام، بحث مقدم لمؤتمر" العولمة ومناهج التعليم" المؤتمر القومي الحادي عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس.

6. وزارة التربية الوطنية، مديرية التعليم الأساسي، 2003 "مناهج السنة أولى من التعليم الابتدائي " ديوان المطبوعات المدرسية.

7. وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج،2009، الدليل المنهجي لإعداد المناهج،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية .

8. اللجنة الوطنية للمناهج مديرية التعليم الأساسي (2011) "مناهج السنة الخامسة من التعليم ابتدائي" الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

9. وزارة التربية الوطنية 2007"كتاب التاريخ المدرسي " سنة الخامسة من التعليم الابتدائي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية .

10. وزارة التربية الوطنية، (2003)، كتاب التاريخ للتلميذ سنة الثالثة ابتدائي، الجزائر ديوان المطبوعات المدرسية.

11. وزارة التربية الوطنية، (2003)، كتاب التاريخ للتلميذ سنة الرابعة ابتدائي، الجزائر ديوان المطبوعات المدرسية.

12. وزارة التربية الوطنية، (2003)، كتاب التاريخ للتلميذ سنة الخامسة ابتدائي، الجزائر ديوان المطبوعات المدرسية.